٩

دومي على العهد

[الطويل]

هَـوَى صَـاحِـبـي رِيـحَ الـشَّـمَـالِ إِذا جَـرَتْ
وَأَهْـوَى لِـنَـفْـسـي أَنْ تَـهُـبَّ جَـنُـوبُ(١)

فَـوَيْـلـي عـلـى الـعُـذَّالِ مَـا يَـتْـرُكُـونَـنـي
بِـغَـمِّـي، أمـا فـي الـعـاذِلـيـنَ لَـبِـيـبُ(٢)

يَـقُـولـونَ: لَـوْ عَـزَّيْـتَ قَـلْـبَـكَ لارْعَـوَى
فَـقُـلْـتُ وَهَـلْ لِـلْـعَـاشِـقِـيـنَ قُـلُـوبُ(٣)

دَعَـانـي الْـهَـوَى والـشَّـوْقُ لَـمَّـا تَـرَنَّـمَـتْ
هَـتُـوفُ الـضُّـحَـى بَـيْـنَ الْـغُـصُـونِ طَـرُوبُ(٤)

تُـجَـاوِبُ وُرْقـاً إِذْ أَصَـخْـنَ لِـصَـوْتِـهـا
فَـكُـلٌّ لِـكُـلٍّ مُـسْـعِـدٌ وَمُـجِـيـبُ(٥)

---

(١) يرى الشاعر تعارضاً في الميول بين صاحبته؛ فهي شمالية الميول بينما هو يميل إلى الجنوب، فهما إذاً متعارضان، لا يُرجى لقاؤهما.

(٢) العذّال، مفردها عاذل: لائم. اللبيب: العاقل. يتألم الشاعر من موقف اللائمين، ومن طبيعة هؤلاء النصح والإرشاد، ولكنّ كثرة ضغط هؤلاء في نصحهم يؤلم الشاعر ويزيد من همومه، لذا فإنه يستغرب ألّا يوجد عاقل يقدّر ما هو فيه من عذاب وألم.

(٣) ارعوى: ارتدع. تتمحور دعوة العذّال حول ترك الشاعر لمحبوبته علّه ينساها في حال استبدالها بأخرى وهو يردّ عليهم بأن العاشقين سُلِبوا قلوبَهم، فقلوبهم استحوذت عليها محبوباتهم.

(٤) و (٥) يُذَكِّر الشاعر حبّه وشوقه لمن يحبّ تفتح الفجر الوليد بأصوات جميلة حنونة متآلفة تغنّي الحبّ بحرّية على الأغصان الندية، فالحمام البرّي في تناغم وتحابّ وسعادة، فتردّد الطبيعة تلك الأصداء.

فَـقُـلْـتُ: حَـمَـامَ الأَيْـكِ مـا لَـكَ بَـاكِـيـاً
أَفَـارَقْـتَ إِلْـفـاً أَمْ جَـفَـاكَ حَـبِـيـبُ[١]

فـقـالَ: رَمـانـي الـدَّهْـرُ مِـنْـهُ بِـقَـوْسِـهِ
وَأَعْـرَضَ إِلْـفـي فَـالـفُـؤادُ يَـذُوبُ[٢]

تُـذَكِّـرُنـي لَـيْـلَـى عـلـى بُـعْـدِ دَارِهَـا
وَلَـيْـلَـى قَـتُـولٌ لـلـرِّجـالِ خَـلـوبُ[٣]

وقـد رابَـنـي أَنَّ الـصَّـبَـا لَا تُـجـيـبُـنـي
وَقَـدْ كَـانَ يَـدْعُـونـي الـصَّـبَـا فَـأُجـيـبُ[٤]

سَـبَـى الـقَـلْـبَ إِلَّا أَنَّ فـيـهِ تَـخَـلُّـداً
غَـزَالٌ بِـأَعْـلَـى الـمَـاتِـحَـيْـنِ رَبِـيـبُ[٥]

فَـكَـلِّـمْ غَـزَالَ الـمَـاتِـحَـيْـنِ فَـإِنَّـهُ
بِـدَائِـي وَإِنْ لَـمْ يَـشْـفِـنـي لَـطَـبِـيـبُ[٦]

---

(١) و (٢) حوار جرى بين الشاعر وتلك الحمائم، فهو يرى في تغريدها نغمة حُزن، فيسألها عن سبب ذلك، فكان الجواب مشاركة وجدانية فحال الطائر كحال الشاعر؛ فالقدر فرّق بين الأحبّة وقوس الشؤم أصابهم بنباله.

(٣) خلوب: مستحوذة على لبّه وقلبه. ما عليه الحمام من تغريد شجيّ يذكر الشاعر فاتنة استحوذت على قلبه ومشاعره.

(٤) الصَّبا: ريح رقيق شرقي. رابني: داخلني الشكّ. تنقل الريح الندية رسائل حبّ وأمانيّ، فها هي الآن لا تحمل شوقاً ولا سلاماً، ممّا يثير في نفس الشاعر اللامبالاة من جانبها، ومن المعتاد أن تلك الرياح تهيج الشاعر فيجيبها لما تدعوه إليه. ما الذي حصل؟

(٥) سبى: استعبد. تخلّد: سكن واستقرّ في المكان. الماتحين: اسم مكان. ربيب: تربى في النعمة والدلال.

(٦) الداء: المرض. طبيب: مداوٍ. يطلب من حبيبته شبيهة الرِّيم أن تكلّمه، فهي عليمة بداء الشاعر؛ فذلك يخفّف عنه من العذاب وإن لم يشفِه شفاءً تاماً.

أُرَدِّدُ عَـنْـكَ الـنَّـفْـسَ والـنَّـفْـسُ صَـبَّـةٌ
بِـذِكْـرِكَ والـمَـمْـشَـى إِلَـيْـكَ قَـرِيـبُ[١]

فَـدُومـي عـلـى عَـهْـدٍ فَـلَـسْـتُ بِـزَائِـلٍ
عَـنِ الـعَـهْـدِ مِـنْـكُـمْ مَـا أَقـامَ عَـسِـيـبُ[٢]

حَـلَـفْـتُ لـهـا بـالـمـشْـعَـرَيْـنِ وزمـزَمٍ
وذو الـعـرشِ فـوق الـمُـقـسِـمـيـنَ رَقـيـبُ[٣]

لَـئِـنْ كـان بَـرْدُ الـمـاءِ حـرَّانَ صـاديـاً
إِلَـيَّ حـبـيـبـاً إِنـهـا لَـحَـبـيـبُ[٤]

وَإِنِّـي لآتـيـهـا وفـي الـنَّـفْـسِ هَـجْـرُهـا
بـتـاتـاً لأُخْـرَى الـدَّهْـرَ أَو لـتُـثِـيـبُ[٥]

فـمـا هُـوَ إِلَّا أَن أَراهـا فـجـاءَةً
فـأَبْـهَـتُ حـتَّـى مـا أَكـادُ أُجِـيـبُ[٦]

---

(١) ففي حال الإجابة تردّ للنفس الحياة، وهي في حال الشوق إذا تذكّرت، والمسافة بينهما ليست ببعيدة.

(٢) عسيب: اسم جبل. يطلب الشاعر من محبوبته البقاء على الودّ، فإنه لن يزول عن عهده وفاءً وإخلاصاً كبقاء ذلك الجبل الراسخ.

(٣) و (٤) المشعرين: الصفا والمروة: صخرتان يسعى الحاج والمعتمر بينهما، وهما ركن هام جدًّا من أركان الحجّ. زمزم: بئر مكة يتزوّد منه الحجيج وأهل مكة الماء. أقسم الشاعر بتلك الأمكنة لقداستها. واللّه رقيب عليه تأكيداً لصدقه على أن الماء البارد للحرّان العطشان محبَّبٌ فإنها لكذلك حبيبته.

(٥) لا زال جواب القسم أنه آتٍ ومخلص لها ولن يكون لسواها من النسوة، فقد هجرهن جميعاً، لذا فهو باق على حبّها.

(٦) يكفي الشاعر أن يفاجأ بها حتى يُدهش ويسكت ويحار جواباً.